قـــراءة سوسيولجيـــة لمفهوم العنف وبعض المفاهيـــم المرتبطة به

د. خالد عليّ أحمد ضو ـ قســـم علم الاجتماع ـ كلية الآداب . جامعة طرابلس

المقدمـــــــــــــة:

يرجـــــع مفهـــوم العنف إلى أول حدث في الصـــراع بين البشر المتمثل في خـلاف بين قابيل وأخيه هابيل منذُ ذلك الوقت حتى يومنا هذا شهدت البشرية أحداثا تميزت بالعنف.

فالعنف لا يختص بمجموعة معينـــة في المجتمع دون أخـــرى فهو يعايش الجميع سواء كان في البيت أو الشارع او العمل ، فكل من الأطفال والشباب والرجال والنساء معرضون لشتى مظاهر العنف والحرب المدّمرة والنزاعات الدّموية المنتشرة في مختلف بقاع العالم الذي يذهب ضحيتها عدد كبير من الأطفال والشباب والرجال، والنساء أفضل مثال على ذلك.

ومما لاحظناه تزايـد سلوكيات العنف في الحياة الاجتماعية والفكرية ، بين شباب العالم ، حتى أصبح مـــن المعالم المميزة لهذا القـــرن ، حيث نعيش اليوم في عالم عدواني كثرت فيه الجرائم ، كالقتل، السرقة، والتمرد ، والاضراب والاعتداء، والتدمير، والتحطيم ، واتلاف الممتلكات ، ناهيك عن الألفاظ المعنّفة.

وظاهـــرة العُنف تعدّ ظاهـــرة عامـــة تتخطى كافّة الحـــدود الجغرافية والثقافية والدينية ، والفـــوارق الطبقية ؛ إذ ليست ظاهـــرة حديثة النشأة ، بل تعتبر من ضمن الظواهـــر السلبية التي عرفتها المجتمعات البشرية منذ القدم ،إلا أن الجديد في الأمـــر هو ارتفاع معدلاته وانتشاره ، واتخاذه أشكالاً جديدة في المجتمع.

مفهوم العنف وبعض المفاهيم المرتبطة به:

مفهوم العنف : من الصعوبـــة بمكان تقديـــم تعريف جامع مانع للعنف ، وذلك نتيجة لتعدد دلالات المفهوم قديما وحديثا ، وتنّـــوع المضامين التي يُشير إليها هذا من جهة ، وإلى اختلاف المنطلقات الفكرية والايديولوجية لكل باحث واختلاف التخصصات المعرفية التي تناولته من جهة أخرى ، حيث يمكن النظر إليه من زوايا مختلفة ومناهـــج متعدّدة، فعلماء السياسة يعرفونـــه بطريقة مختلفة عن علماء الاجتماع وهؤلاء بـــدورهم يختلفون في تعريفهم له عن علماء النفس أو علماء الجريمة والقانون، الأمر الذي أدّى بدوره إلى تعدّد مفاهيـــم العنف التي تعكس موقف الباحثين من القضايا

المجتمعية المختلفة , وتعكس حُدود ومجالات اهتمام المتخصصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية على اختلاف فروعها ، كذلك يُعاني المفهوم من التداخل مع غير من المفاهيم ، كمفهوم الارهاب، والعُدوان، والغضب والتّطرف، وغيرها من المفاهيم الأخـــــرى.

التعريــفات اللغويـــــــــة للعنف :

كلمة العنف في اللغة العربية تتكون من الجذر (ع. ن. ف) ، وهو الخـــرق بالأمر وقلة الرفق به والتعنيف يعنى التوبيخ والتقريع واللوم (1)، وهكذا تُشير كلمة عنف في اللغة العربية إلى كل سلوك يتضمن معانى الشدة والقســـوة وعلى هذا الأساس فإن العنف قد يكون سلوكاً فعلياً أو قولياً.

أما في اللغة الانجليزيـة فإن مفهوم العنف مشـــتق من المصدر(TovioLcte) بمعنى : ينتهك أو يعتدى , ويعرفه قاموس أكسفورد(Oxford) بأنه: ممارسة القوّة البدنية لانزال الأذى بالأشخاص ، أو الممتلكات وهو يعني : الميل إلى إحداث الضـــرر الجسماني أو التدخل في الحرية الشخصية (2)، وقد ذكر قاموس (ويستر Webster) عدّة معانى للعنف تتراوح ما بين المعنى الدّقيق نسبياً والقوى الجسدية التي تستخدم للإيذاء أو الاضرار إلى المعنى المجازي الواضـــح عمل طاقة أو قوة طبيعة أو جسدية إلى المعنى الشديد الغموض استخدام غير عادل للقوة أو السلطة كما في الحرمان من الحقوق (3) ، ويعرفه معجم (لاروس Larowss) بأنه: خاصية لكل ما ينتـــج عنه مفعول بقـــوّة شديدة مُتطرفة ووحشية , فهو خاصية لما هو عدواني ، وقد تـــم تعريفة في قاموس لاند للفلسفة بأنه :" الاستخدام غير المشـــروع أو غير القانوني للقوة" ، في حين أشارت الموسوعة العلمية (Univorais) إلى العنف بأنه : " كل فعل يمارس من طـــرف جماعة أو فرد ضد أفراد أخرين عن طريق التعنيف قولاً أو فعلاً وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية أو المعنوية)، أما موسوعـــــة علم النفس فتعرف العنف بأنه : (العنف الجسدي الذي يجعل قانون الأقوى سائدا عندما يقمع الأفراد أو الجماعات الأضعف) ، ويعرف العنف في معجم العلوم الاجتماعية بأنه : (استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطـــابق للقانـــون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما). (4) ، ويعرف العنف في قاموس الخدمة الاجتماعية بأنه : (القســـوة والممارسة المكثفة للقهر والقوة وعادة ما ينتج عنها إصابة أو تدمير, وتعبير جرائـــم العنف متعلق بهذه الجرائم الذى يحدث فيها أذى جسـدي أو تهديد أو القتل العمد أو الهجوم أو الضرب). أما الموسوعـــة السياسية فترى بأن : "العنف ليس مفهوم أو لما يصبح بعد على الرغـــم من ممارسته منذ القدم ، ويتم تناوله من ثلاثـــة

وجوة رئيسية الوجه النفسي ، أي : أنه يتخذ سمة اللامعقول والخروج عن الحالة الطبيعة, والوجه المعنوي والاخلاقي ، أي : من حيث يمثل انتهاكاً لممتلكات الآخرين وتعدياً على أرزاقهم وحرياتهم والوجه السياسي وذلك من خـــلال استخدام القوة بهدف الاستيلاء على السلطة "

التعريفات الاصطلاحيـــــــــة للعنف:

تعددت التعريفات الاصطلاحية التي تناولت تعريف العنف ولعلّ راجع ذلك إلى التّوســـــع في معانيه واستخدمه لوصف أشكال كثيرة من السلوك الإنساني لذا تظهر الصعوبات في تحـــديد معنى دقيق ومحدد للعنف وفي هذا المجال نستعرض بعض التعريفات الاصطلاحية المختلفة التـــي أوردها العلماء والباحثين في هدا المجال: يعرف محمد خصر العنف بأنه : " كل فعل ظاهر أو مستتر مباشر أو غير مباشر مادي أو معنوي موجه لإلحاق الأذى بالذات أو بآخـــر أو جماعة أو ملكية ، أي : واحد منهم " (5) ، ويعرفـــــه مصطفى حجازي بأنه : " لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقـــــع ومع الآخرين حين يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي وحين تترســـــخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته". (6) ، ويعرف العنف بأنه : " الايذاء باليد أو اللسان أو بالفعل أو بالكلمة في الحقل التصادمي مع الآخر, وهو سلوك ايذائي قوامه إنكار الآخر كقيمة مماثلة للآنا ". (7) ، ويعرفـــــه أدم كوبر Adam Kuper بأنه " : مظهر مـــن مظاهـــــر التدمير المادي والانفعالي والجنسي وهـــو يتضمن استخدام الأفراد للقوّة والاعتداء ، وذلك من أجل تحقيق أهداف معينة أو تحقيـــــق مصالحهم الخاصة ". (8)

ويعرف بأنه : "كل سلوك فعلى أو قولي يتضمن استخدام القـــوّة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضـــــرر بالذات أو بالأخرين وإتلاف الممتلكات لتحقيق أهداف معينة, والعنف بهذا يكون سلوكاً فعلياً أو قولياً ". وينطـــوي على ممارسات ضغط نفسي أو معنوي بأساليب مختلفة , كما أن السلوك العنيف قد يكون فردياً أو جماعياً منتظماً أو غير منتظم, علنياً أو سرياً. (9) ، وينظـــــر إليه كلا ستر على أنّه " خاصية من خصائص النوع الإنساني حيث يعتبر السلوك العنيف متأصلاً في طبيعة الإنسان البيولوجيـــــــة".(10)

ومما ســـــبق نجد أن أغلب التعريفات المتعلقة بالعنف ركّزت على الجانب المادّي وبعضها ركّـــز على الجانب المعنوي ، وفيهم من ركز على الجانبين معاً حيث يتضـــــح الاختلاف بين الباحثين والعلماء وذلك طبقا لاختلاف مدراسهم وتخصصاتهم

واهتمامهم البحثية والمعرفية التي ينتمون إليها ؛ ولكن نجدهم يتفقون على أن العنف سلوك سلبي غير اجتماعي يمثل ظاهرة مرضيةٍ وغير مرغوب فيها ومخالفة لعادات وقيم المجتمع.

العنف والارهـــــاب : يعتبر مفهوم الارهاب من المفاهيم ذات العلاقة بمفهوم العنف ، فالعنف يمثل أهم المظاهر الرئيسية للإرهاب أو بالأحرى يعتبر الوسيلة الرئيسية التي يستخدم الارهاب لتحقيق أهدافه, وتستعمل كلمة الارهاب للإشارة إلى استعمال وسائل قادرة على إحداث خلل في الوظائف العامة للمجتمع وخلق فوضى وخطر عام. ويعرف الارهاب بأنه استخدام العنف غير القانوني أو التهديد بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتعذيب والتخريب والتعسف وذلك من أجل تحقيق سياسي معين. (11)

ويـــــرى بعض الباحثين بأنّ الارهاب ثقافة والعنف هو الوسيلة التي يتـــــم عن طريقها فرض هذه الثقافة ، فالإرهاب شكل من أشكال العنف الموجه ايديولوجياً والتي ترتكبه التنظيمات غير الرسمية عن طريق أفراد أو جماعات من المنتمين إليها بهدف تحقيقها لأهداف سياسية. كما يعرف الارهاب بأنه : "عملية استعمال القــوّة في سبيل الحاق الضرر عن طريق استخدام الاكراه المادّي والمعنوي لفرض رأي يحقق أهداف سياسية او اجتماعية او ثقافية، فالإرهاب تكون له طبيعة فكرية تتسم بالاستمرارية وينتج عنها مناخ من التوتر والقلق والفوضى، في حين أن العنف يشير إلى حدث له بداية ونهاية. فالإرهاب يسبق العنف ويمهّد له كما أنه يتبع حوادث العنف - أيضا - ويكون أحد نتائجها، فهو يرتبط بعملية تخويف وترويع عامة الناس بالعنف الذي يكون موجّها نحو شخص معين إلا إذا تحوّل عنف جماعي ويتحوّل الارهاب إلى حالة تهديد اجتماعي عندما يكون الضحايا هم أفراد المجتمع انفسهم ، فإن الارهاب في هـــذه الحالة يخلق شعوراً عامّا في المجتمع بالخطـــر وعدم الأمان، ويتداخل مفهوم الارهاب مع مفهوم العنف فالإرهاب شكل من أشكال العنف الذي يخرج غالبًا على القواعد والقيم التي يقبلها المجتمع ويرتضيها لأفراده. (12) ويشير إحسان محمد الحسن إلى عـــدد من الفوارق الأساسية بين مفهوم الارهاب والعنف المتمثلة في الآتـــــــي:

1- الارهاب هو عنف يتـــــم بصورة منتظمة ومدروسة بهدف لأغراض سياسية وأيديولوجية تتناقض مع أهداف النظام القائم، في حين أن العنف يتـــمّ عن طريق استخدام القوّة الذي ينتـــــج عنها الخوف والفزع في نفوس الأفراد الذين يستخدمون العنف ضدهم.

2- للارهاب تقنيات واستراتيجيات سياسية مخططة ومدروســـــة مسبقا وله أيديولوجية يعتمدها الارهابيون في تحقيق أهدافهم بينما لا يعتمد العنف على تقنيات واستراتيجيات وعقائد عند الأفراد والجماعات التي تستخدمه ضد الآخرين.
3-لا يستطيع مخططو الارهاب تحقيق أهدافهم بسرعة ؛ بل تستغرق مدة طويلة في حين أن العنف يستطيع تحقيق أهدافه ولا يستغرق وقت طويل.
4-تكاليف الارهاب المادية والبشرية تكون أعلى بكثير عن التكاليف المادية والبشرية للعنف.
5-ممارسات الارهاب منظمة وتهدف إلى تحقيق أغراض سياسية في حين أن العنف لا يكون منظما وفي الغالب ليس لديه أغراض سياسية مدروسة ومنظمة.
6-تتبنى ممارسات الارهاب قوى المعارضة بهدف توسيع نفوذها المالي والسياسي وزيادة ضغوطها على الحكومة في حين أن العنف يتبنى ممارساته بعض الأفراد والجماعات الصغيرة لتخويف جماعات أخرى بهدف التأثير في سياساتها أو ارغامها و طموحاتها غير قانونية . (13)

العنف والتطـــرف: يعدّ مفهوم التطرف أحد المفاهيـــــم المرتبطة بالعنف ، فالتطرف في أبسط معانيه هـــــو الخروج عن القواعد والأطر الفكرية والقانونية التي يرتضيها المجتمع لأفراده ويســـــمح لهم في ظلها بالاختلاف والحوار.(14) ، ويعرف- أيضا - بأنه : " التعصب فـــي الرأي وتجاوز حدّ الاعتدال فيه مما يترتب على هذا التعصب ألوان من السلوك الإنساني العنيف أحياناً واللاإنساني أحياناً أخرى"
فالتطرف يؤدّي إلى العنف والخروج عن المألوف، ويعلّل بعض الباحثين أسبابه في الفهم الخاطئ للدّين والاحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقادهم للمثل العليا في سلوك المجتمع وانتشار القهر والقمع.(15)

العنف والغضب: يعدّ العنف مظهرًا من مظاهر التعبير عن الغضب في حين أن الغضب هو أحد الدوافع التي تؤدّي إلى العنف فإذا اعتبرنا الغضب يمثل مشكلة بين طرفين يقع في الطرف الأول القمع لمشاعر الغضب ويقع عند الطرف الثاني العنف، حيث يتم التعبير عند مشاعر الغضب في صـــــورة عنف وتدمير وعدوان ، وللغضب كثير من الآثار السلبية على التوافق الشخصي والأسري والاجتماعي والدراسي للفرد حيث يؤدّي إلى حدوث أضرار للفرد بنفسه وبالآخرين وإتلاف الأشياء وإفساد العلاقات الاجتماعية.

العُنـــف والعُـــدوان : يرتبـــط العنف بالعدوان ، فالعدوان يعـــرّف بأنه : " سلوك مقصود يهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بالآخر عن قصد وعمد ، وعلى هذا فإن كل الأفعال التي تهدف إلى الايذاء بشـــكل عارض لا تكون عدوانا، أمّا العنف فهو يُمثّـــل الصورة القصوى من متصل العدوان.

فالعدوان هو المفهوم الأهم الذي يشمل كافة أشكال العنف البدني أو اللفظي حيث تتعدد أنواعـــــه وتتنوع ، وقد يستخدم بعض الباحثين كلّ من مفهوم العدوان والعنف بوضعهما مترادفين؛ لكن العلاقة بينهما علاقة العام بالخاص ، فالعدوان يعرف بأنه : " كل سلوك مادي أو معنوي هادف ومقصود وتكون نتيجة إلحاق ضرر مادي أو معنوي بشخص أو بأشخاص آخرين فهو السلوك الصريـــح والذى يظهر على مستوى الفعل والممارسة ". (16)

ويعدّ العُدوان أكثر عمومية من العنف وهـــو يتضمن جانبين بدني ومعنوي ، وقد يكون إيجابيا أو سلبيا في حين أنّ العُنف يعد شكلاً من أشكال العدوان ، ويمكن القول بأن كل عنف يعد عدوان ولكن ليس بالضرورة أن يعد كل عدوان عنف , فالعنف هو الاسلوب أو الوسيلة التي يُعبّـــر بها عن نزعات عدوانية ، بمعنى : أن العنف نهاية المطاف لسلوك عدواني

فالعدوان سلوك ربما يكون ظاهرًا أو كامناً, فالأفراد جميعاً يمتلكون غريزة العدوان ؛ ولكن التعبير عنها يختلف باختلاف الأفراد والأساليب التي يتبعونها للتعبير عن تلك الغريزة.

الأطـــر النظرية المفسّـــــــرة لمفهـــوم العنف:

تشير النظريـــــة البيولوجية إلى أن العنف يرجـــع إلى عوامل بيولوجية , في تكوين الكائن الحي حيث يوجد لدى الإنسان والحيوان ميكانيزم فسيولوجي , ينمو هذا المكانيزم عندما يثار لديه الشعور بالغضب , وهو يـــؤدّي لحدوث بعض التغيرات الفسيولوجيـــة التي تؤثـــر على سرعة نبضات القلب وزيادة ضغط الدّم وزيادة نســـبة الجلوكوز فيه , وإلى ازدياد معدّل تنفس الفـــرد, وانكماش عضلات أطـــرافه, مما يؤدّي لتوترها لتقاوم التعب والارهـــاق , كما تزداد سرعـــة الدورة الدّموية, وخاصة في الأطراف , ويعضُّ الفرد على أنابيه وتصدر منه أصوات لا إرادية , ويقلّ إدراكه الحسي , حتى أنه لا يشـــعر بالألم في معركته مع غريمه ، وتفترض نظريـــة الاحباط ـ العُدوان بأن البيئة تُسبب في الاحباط للفرد ، وتدفعه دفعاً نحو العنف ، بمعنى آخـــر : أن البيئة المحيطة بالفرد , والتي لا تساعد على تحقيق

ذاته والنجاح فيها , تدفعه نحو العنف , وتؤكد - أيضا - بأن كل عنف يسبقه موقف إحباطي والسلوك العدواني يحدث نتيجة إحساس الفرد بعدم قدرته على تحقيق ما يريد من رغبات , وعندما يؤخّـــر إشباع تلك رغبات, فإن ذلك يؤدّي إلـــى ظهور الاحباط وفي هذه الحالة يبدأ يتفاعل مع العنف.

وتؤكد نظريـــة التعلم الاجتماعي بأن العنف سلوك متعلم , يعتمد على التقليد بالدّرجة الأولى ويؤثـــر في عملية التنشئة الاجتماعية , كما أنها تؤكد - أيضا - على تأثير أفلام العنف على سلوك الفرد.

ويؤكد (سندر لاند sunder land) منظّـــر نظرية الاقتران الفارقـــي بأن السلوك العنيف لدى الفـــرد سلوك مكتسب يتـــم عن طريق التعلم , وأن أساس العنف هو التعلم , فالشخص الذي لم يتدرب على الجريمة لا يتبـــع سلوكا إجراميا , شأن من لم يتعلم الميكانيكا , أو إنه لا يستطيع القيام باختراعات ميكانيكية , فينما أكدّ (البرت بأندورا Albert BANDORA) ، في نظريته على تأثير أفلام العنف , على سلوك الفرد, وأن السلوك العنيف سلوك متعلم يعتمد على التقاليد بالدرجة الأولى, ويؤكّـد العالم الأمريكي (سندر لاند SUNDER LAND) بأن وسائل الاتصال (الاتصال الشخصي) ، مثل : تبادل الأحاديث والذي له دور كبير في تعلم سلوك العنف, بينما " وسائل الاتصال غير الشخصية " كالصحافة والسينما والإذاعة والتلفزيون لها دور ضئيل الأهمية محدود الأثر في نشـــر السلوك العنيف.

وقد قـــدّم كلّ من (ما رفن MARVIN ، وولفجانـــج WOIFGANG) نظرية عن الثقافة الفرعية للعنف عام 1967 م ، والتي تعد إحدى النظريات التي تُسهم في تفسير سلوك العنف حيث يرى ان الاتجاهات نحو العنف تختلف بشكل كبير من جماعة إلى أخرى داخل المجتمع نفســـه , وتتميز هذه الثقافة الفرعية بأن لها اتجاهات إيجابية نحـــو سلوك العنف , وأن هذه الاتجاهات تشجع على ظهور السلوك العنيف في كثير من الأحيان, ونجد أن الأعضاء الذين ينتمون إلى ثقافة العنف يفضلون اسلوب الخشونة ويشجعون السلوك العنيف بين الذكور, فالعنف يعتبر جزء من اسلوب حياتهم كما أنهم لا ينظرون إلى العنف على اعتبار أنه تصرّف غير أخلاقي . وتركز نظرية ثقافة العنف , على افتراض أساسي مؤداه , أن سلوك العنف يُعد نتيجة مباشرة لتبني قيم الثقافة الخاصة بالعنف , تسودها مجموعة من القيم والاتجاهات, وطبقا لهذه النظرية, فإن أعضاء ثقافة العنف , يتصرفون بشكل أكثر عنفا من الآخرين , لأنهم يخضعون للقيم والمعايير والاتجاهات الأساسية للثقافة الفرعية للعنف.(17)

وتفترض نظرية الحرمان النسبي بأن البيئة التي لا تشـــبع احتياجات أفرادها, سينتج عنها شعور لدى أفـــرادها بالحرمان , يدفع الأفراد نحو العنف ويعتبر (تدجور TEDGURE) مفهوم الحرمان النسبي من المفاهيم المهمة لتفسير السلوك العنيف , حيث أن هناك فروقا واضحه بين التوقعات التي لابد أن تكون, وبين خيبة الآمال نتيجة التوقعات.

وتؤكّـــد هذه النظرية بأن الفرد يشعر بالحرمان عندما يشعر بأن أحوال لا تتحسن ولكن أحوال الآخرين تتحسن بدرجة أكبر أو بمعدل أســـــرع ، وتزداد حدة شعور بالحرمان إذا كانت أحواله تتدهور, وأحوال الآخرين في تحسّن مستمر, والحرمان النسبي يؤدّي إلى الاحساس بعدم الرضا والتمرد على الواقع والاستعداد المتطرف في العداء واستخدام العنف.

ويرى أصحاب النظرية الوظيفية بأن العنف قد يكون وظيفيا أو لا وظيفيا , استناداً إلى السياق الاجتماعي الذى يحدث فيه ، فقد يستخدم كل من الشرطي واللص للعنف , والأول يتخذ جانباً إيجابياً, بعكس الآخر الذي يتخذ جانباً سلبياً, لذلك يعد العنف وظيفياً في الحالة الأولى, ولا وظيفي في الحالة الثانيـــة , فإن الحل الذى يراه الوظيفيون يكمن في زيادة التكامل الاجتماعي حيث تتقلص حدّة العنف بزيادة ارتباط الاشخاص بالجماعات الأولية, التي تعمل على إشباع احتياجاتهم النفسية والاجتماعية , وتغرس القيم الدينية وقيم الانتماء.

بينما ترى نظرية الصراع بأن العنف الذي يحدث في المجتمع, إنما هو ميراث الظلم التاريخي الذي تعاني منه الأقليات, من عـــــدم الحصول على نصيب عادل من الثروة والقـــــوّة , كما يرى أصحاب نظرية الصراع أن العنف نتاج للقهر الذي يتعرض له الناس , بل أن ضحايا القهر يستخدمون غالبًا نفس الأسلحة التي استخدمت ضدهم , وأنهم تحت ضغط الاضطرابات والاحباط الذى يعانـــــون منه يعتدون غالبًا في وجه أصدقائهم وأهلهم وجيرانهم بدلا من الأشخاص الذين يقهرونهم , وأخيرًا نجـــد أن أصحاب النظرية التفاعلية الرمزية يرون بأن العنف سلوك متعلم يرتبط ارتباط وثيـــق بالتنشئة الاجتماعية , وله القابلية على صياغة سلوكنا في ضوء ما يتوقعه الآخرون منا, ويعتقد أصحاب هذه النظرية بأن الذات في المجتمع أو الذات الاجتماعية , ماهي إلا حصيلة تفاعل عاملين اثنين , العامل النفسي الذي يعبر عن سمات الفرد الشخصية , والعامل الاجتماعي الذي يجسّـــد مؤثرات البناء الاجتماعي المحيط بالفرد , ومن خـــــلال تضافر العاملين تتكوّن الذات الاجتماعية .

فالناس يتعلمون سلوك العنف بالطريقة نفسها التي يتعلمون بها أي نمط آخـــر من أنماط السلوك الاجتماعي , فالأبناء يتعلّمون العنف من خـــلال عملية التفاعل, وكذلك من خـــلال التنشئة الاجتماعية, التي تقوم بها الأسرة بطريقة مباشرة أو عن طريق المثل أو القدوة , التي يقدمها أعضاء الأســـرة , وعندما يشاهد الأبناء الصراعات وسلوك العنف بين أفراد الأســـرة , تزداد احتمالات اكتسابهم لهذا النمط من السلوك في ضـــوء النظرية التفاعلية الرمزية , نجد أن العنف سلوك متعلم , يتم تعلمه من خـــلال التنشئة الاجتماعيـــة , ولذا يمكن تجنّب العنف عن طريق عدم تعلمه , أو التخفيف من حدته داخل المجتمع , عن طريق تغيير محتوى أو مضمون عملية التنشئة الاجتماعية, وإعداد البرامج الفعّالة , لعـــلاج مشكلة العنف من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات العلمية .

أســـباب العنف : إن سلوك العنف لا ينشأ من فـــراغ ؛ وإنما هناك بنية مجتمعية تعـــززه وتشكّله وتمنحه المضمون والمعنى ، وذلك بحكـــم منطق العلم والقول بأن لكل نتيجة سبب ، حيث يؤكّد الباحثون والعلماء بأن العنف ليس وليد سبب أو عامل واحد يمكن التحكم فيه ومعالجته ، بل تتعدد أسبابه وتنوع مصادره وتتعدد بالتالي أشكاله وصوره ، والتي تتمثل في الآتـــي:

1- الأســـباب الشخصيـــة : وهي العوامل التي تتعلق بسمات الفرد الشخصية وتشير إلى الخصائص النفســـية والانفعالية لديه والتي تدفعه إلى العنف.

2-الأســـباب الأســـرية : تعتبر العوامل الأسرية من أهم العوامل التي لها تأثير كبير في حياة الأفـــراد ، حيث تُعتبر الأســـرة المجتمع الإنســـاني الأول الذي يعيش فيه الطفل والمؤسسة الأولى له، والتي تنفرد في تشكيل شخصيته لسنوات عديدة من حياته ، لهذا فهي تعتبر حاسمة في بناء اتجاهاته وتشكيل سلوكه السوي أو المنحرف ، فإذا كانت الأسرة عامل التنشئة الأول فهي كذلك عامل مولّد للانحراف.

3-الأســـباب الاقتصاديـــة: للعوامل الاقتصادية دور مهم وفعّال في إشباع حاجات الشباب ، حيث إنها تعتبر من العوامل الرئيسية في خلق الاستقرار النفسي، فكلما كان دخل الفرد منخفضا كان رضاه واستقراره غير ثابت نتيجة عدم قدرته على إشباع حاجاته وقد يتحوّل هـــذا الأمر إلى كراهيـــة تقوده إلى نقمه على المجتمع، وهذا الحال من الاحباط يولّد شعورًا سلبياً اتجاه المجتمع ، ومن آثاره شـــعور الفرد بعدم الانتماء لوطنه ، ونبذ الشـــعور بالمسؤولية الوطنية ، وينتـــج عنه شعور

الفرد بالانتقام من الآخرين الذين هم أحسن منه حالاً ، وقد يتخذ أساليب من السلوك السلبي تتسم بالعنف.

4-عوامـــــــل متعلقة بالرفـــــــــــاق : جماعة الرفاق تلعب دورًا فعّالا في التأثير على الأفراد وتشـــكيل شخصياتهم ، وذلك حسب قدراتهم على الاقناع وقوة الشخصية ، فهي من أشــدّ الجماعات الأولية تأثيرًا على شخصية الفرد ، فينجرف في تيارها ويقلد ما يفعله أعضاءها وخصوصا في مرحلة الشباب المبكّر وذلك نتيجة لما يتميزون به من اندفاعية ويميلون في هذه المرحلة إلى سرعة التغير وإلى العنف .

فالفرد يجد الفرصة لاختبار ما تعلمه في الأســـرة من أنماط سلوكية وقيـــم اجتماعية وقد يضحي الفرد بقيم ومعايير المجتمع التي تعلمها من الأسرة في مقابل تقبل قيم ومعايير جماعة الأقران وتحدث هـــذه الحالة في أغلب الأحيان في سنوات المراهقة ، فالفرد في هذه المرحلة يبتعد عن الأسرة في محاولة منه لتحقيـــق الهوية الذاتية فبناء الهوية وتحقيقها يتـــم جزءٌ منها من خـــلال انتمائه إلى جماعة الرفاق، ففي حالة فشـــل الفرد في إقامة علاقات ايجابية مع رفاقه أو اصدقائه يعـــود عليه بالتأثير السلبي مما يسهم في تشكيل العنيف ، وقد يشجعه على الانحراف.

كما أن الرفقة السيئة تلعب دورًا خطيرًا في التأثير على سلوك الفرد وكثيرًا ما نلاحظ عدد من الشباب يلجـــؤون إلى الرفاق الســـوء الذين يدلونهم على كل شـــر ويجرونهم إلى كل فساد ويحرضونهم على كل خطيئة ، فالرفقة السيئة تشجع على العنف وتزيد من حدتـــه.

5-العنف عبر وســـــائل الإعـــــــــلام : تعتبر وسائل الإعلام المرئية كالإذاعة المرئية والفيديو والسينما وسائل ثقافية تعمل على نقل الافكار ، وهي من أقـــوى وسائل العصر الحديث تأثيرًا في سلوك الأفراد والجماعات وخاصة لدى صغار السن ، نظرا لأنهم أكثر طواعيـــة ومرونة وتأثّـــراً بالصورة من الراشدين ، فمختلف اتجاهاتهم وأشكال سلوكهم تتأثر بعمق الأشياء التي يشاهدونها وفي هذا الصدد يـــرى (ألبرت باندورا) - صاحب نظرية التعلم الاجتماعي - : أن معظم سلوك الإنسان يتم تعلمه من خلال الملاحظة أو المشاهدة ، وذلك من خـــلال ما يتوفر أمامه من نماذج يقـــوم بتقليدها.

مظَاهـــــــر العنـــــــف : شهدت السنوات الأخيرة من هـــذا العصر زيادة كبيرة في مظاهـــر العنف ، وتنـــوّع مجالاته ، وذلك لأن هذه الظاهرة لا يمكن أن تنبـــع من فراغ ، وإنما هناك أسبابا تفـــرز هذا السلوك العنيف ، ولا يتوقّف

العنف على العنف السياســـي وحده ؛ وإنما هناك العنف في الشارع ، وفي المنزل، وفي الملاعب ، وفي مجالات العمل ، وفـــي الأندية ، وفي قيادة السيارات ، وفي الجريمة .

ويمكن أن نعرض بعض مظاهـــر العنف على النحو الآتـــي:

1- رفض النّصح والتوجيه.

2- سلوك الانتحار.

3- تعاطي المخدرات والادمان عليها.

5- الاعتداء على أحد الوالدين أو على أحد أفـــراد الأســـرة من الإخوة أو الأخوات بالضرب.

6- الرد بصوت عالٍ على أحد الوالدين.

7- اهانة الإخوة الصغار بالشتم والسب والسخرية.

8- الاعتداء على الرفاق بالضرب.

9- إخفاء او إتلاف ممتلكات الرفاق.

10- الاعتداء على ممثلي السلطة داخل المؤسسة العلمية.

11- كتابة العبارات النابئة ورســـم الصور الخليعة على جدران المؤسسات.

12- الاعتداء على ممتلكات المؤسسات التعليمية والحكومية بالسرقة والتخريب.

13- عدم احترام إشـــارات المرور.

14- قيادة السيارات بسرعة فـــي الأماكن والشوارع المزدحمة.

15- الاعتداء على ممتلكات المجتمـــع بالسرقـــة والتخريب.

خصائـــــص العنف: لكل سلوك يتصرفه الفـــرد خصائص تميّزه، وهي نتاج لتفعلهم على البيئة الاجتماعية وتتمثل بعض الخصائص في الآتي:

1- يتصف السلوك العنيف بجملة مشـــاعر فضّة وأحاسيس قاسية وأفكار سلبية وهي نتاج لتفاعل الفرد مع آخرين معادين له بسبب تعارض مصالحه أو أفكاره مع مصالحهم أو أفكارهم.

2- العنف نقيض الإصلاح أو الابتكار أو الابداع فهو شبيه بالعشب الضار لا يفيد الإنسان ولا التربة ولا النباتات ، وذلك لأن ضرره أكثر من نفعه.

3- يتصف السلوك العنيف بالإدمان بمعنى : أنه يشـــبه عقار الكوكايين.

4- العنف هو أحد الخيارات المتاحة أمام الفرد أو أحد أنواع البدائل التي يواجهها في الحياة الاجتماعية ، وخاصة عندما يقابل أحداث قاسية أو موقف معقد أو حـــرج ومع

غياب المعوقات العقلانية أو العلائقيـــــة في مواجهاتها يلجأ لاستخدام العنف لكي يستطيع الخـــــروج من تلك الأحداث أو ذلك الموقف الصعب.

5- العنف والتصرف العقلاني نقيضان لا يلتقيان ولا يتجاذبان ، فالفـــرد الذي يتصرف بعنف لا يستخدم عقله في المواقف الصعبة التي تواجهه ، ولا فـــي قراءة الأحداث التي يشاهدها.

الخاتمـــــــــة:

ظاهـــــرة العنف ليست ظاهرة حديثة وليدة العولمة ؛ وإنما يعـــــود تاريخها إلى أول حدث في الصراع بين البشـــــر المتمثل في الخلاف بين قابيل وأخيه هابيل ، ومند ذلك الوقت وحتى يومنا هذا شهدت البشريـــــة أحداثا تميّـــزت بالعنف .

فالعنف لا يختص بمجموعة معينة في المجتمع دون أخرى فهو يعايش الجميع يوميا سواء كان في البيت أو الشارع أو العمل فكلّ من الأطفال والشباب والرجال والنساء معرضُون لشتى مظاهـــــر العنف، فالحروب المدمّـــرة والنزاعات الدموية المنتشرة في مختلف بقاع العالم ، والتي يذهب ضحيتها عدد كبير من الأطفال والشباب والرجال والنساء ، ومثال ذلك مظاهـــرات العنف التي تتخطى كافة الحدود الجغرافية والثقافية والدينية والفوارق الطبقية ؛ إذ تعتبر من ضمن الظواهر السلبية التي عرفتها المجتمعات البشرية منـــــذ قديم الزمان .

والجديد في الأمـــــر هو ارتفاع معدلاته وانتشـــار واتخاذه أشكالاً أخـــرى في المجتمع.

الهوامـــــــش :

1- ابن منظور, لسان العرب, دار احياء التراث العربي, بيروت, الجزء التاسع, 1984, ط2.:ص429.
2- محمود الخولي, العنف المدرسي, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, 2008.:ص:59
3- محمد فهمي, الخدمة الاجتماعية في مجال الجريمة والعقاب, المكتب الجامعي الحديث, مصر, 2012. ص:173
4- أحمد زكي بدوي , معجم العلوم الاجتماعية, مكتبة لبنان, بيروت, 1982. ص444.
5- طه حسين, سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي, دار الجامعة الجديدة, 2007. : ص18.
6- مصطفي حجازي, التخلف الاجتماعي , المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء,2010.: ص165
7- طارق المنصوري ، العنف اللفظي وعلاقته بالتوافق الدراسي ، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، قسم علم النفس، طرابلس، 2010.ص 16.
8- منال عباس, العنف الاسري, دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية, 2011.:ص22.
9- السيد الخميسى و محمد الشامي, مواجهة العنف المدرسي تربوياً, مكتبة نانسي, دمياط, مصر, 2010، ص87,
10- تهاني منيب و عزت سليمان, العنف لدى الشباب الجامعي, جامعة نايف للعلوم الامنية, الرياض, 2007.: ص18
11- حسين رشوان, العنف والمجتمع, مركز الاسكندرية للكتاب, الاسكندرية, ص14)
12- معتز عبدالله, العنف في الحياة الجامعية, دار غريب, القاهرة, 2009., ص:60.
13- احسان محمد الحسن, علم اجتماع العنف والارهاب, دار وائل, عمان, 2008, ص28
14- ينب شقير، العنف والاغتراب النفسي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، 2005.ص40.
15- اسماعيل الزيود، العنف المجتمعية، عمان،2022، كنوز المعرفة , ص21,
16- طارق المنصوري, ص18, 2010)
17- محمود الخولي: ص104

مصادر ومراجع استعان بها الباحث :

ـ عبدالرحمن العيسوي, في علم النفس الاجتماعي التطبيقي, الدار الجامعية للنشر, القاهرة, 2006